كبذل المال في جميع المصالح، وقال: ﴿مِمَّا رَزَقْناكم﴾: ليدلَّ ذٰلك على أنَّه تعالى لم يكلِّف العباد من النفقة ما يُعْنِتُهُمْ ويشقُّ عليهم، بل أمرهم بإخراج جزءٍ ممَّا رزقهم ويسَّره ويسَّر أسبابه، فليشكروا الذي أعطاهم بمواساة إخوانهم المحتاجين، وليبادروا بذٰلك، الموت الذي إذا جاء؛ لم يمكن العبد أن يأتي بمثقال ذرَّة من الخير، ولهٰذا قال: ﴿من قبلِ أن يأتيَ أحدَكم الموتُ فيقولَ﴾: متحسراً على ما فَرَّطَ في وقت الإمكان، سائلاً الرجعةَ التي هي محالٌ: ﴿ربِّ لولا أخَّرْتَني إلى أجل قريبٍ﴾؛ أي: لأتدارك ما فرَّطتُ فيه، ﴿فأصَّدَّقَ﴾: من مالي ما به أنجو من العذاب، وأستحقُّ [به] جزيل الثواب، ﴿وأكن من الصالحين﴾: بأداء المأموراتِ كلِّها واجتناب المنهيَّات، ويدخل في هٰذا الحجُّ وغيره.

﴿١١﴾ وهٰذا السؤال والتَّمني قد فات وقتُه، ولا يمكن تداركه، ولهٰذا قال: ﴿ولن يؤخِّرَ اللهُ نفساً إذا جاء أجَلُها﴾: المحتوم لها. ﴿والله خبيرٌ بما تعملون﴾: من خير وشرٍّ، فيجازيكم على ما علمه منكم من النيَّات والأعمال.

تم تفسير سورة المنافقين. ولله الحمد.

❁ ❁ ❁

تفسير سورة التغابن

وهي مكية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ[(١)] وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾﴾.

﴿١﴾ هٰذه الآيات الكريمات مشتملاتٌ على جملةٍ كثيرةٍ واسعة من أوصاف الباري العظيمة، فذَكَرَ كمال ألوهيَّته سبحانه [وتعالى]، وسعة غناه، وافتقارَ جميع الخلائق إليه، وتسبيح من في السماوات والأرض بحمد ربِّها، وأنَّ المُلْكَ كلَّه لله؛

---

(١) في (أ) إلى قوله: ﴿والله عليم بذات الصدور﴾، وفي (ب) ذكر الآيات.

فلا يخرج عن ملكه مخلوقٌ[1]، والحمد كله له؛ حمدٌ على ما له من صفات الكمال، وحمدٌ على ما أوجده من الأشياء، وحمدٌ على ما شرعه من الأحكام وأسداه من النِّعم، وقدرتُه شاملةٌ لا يخرج عنها موجودٌ؛ فلا يعجِزُهُ شيءٌ يريده.

﴿٢﴾ وذكر أنَّه خلق العباد، وجعل منهم المؤمن والكافر؛ فإيمانهم وكفرُهم كلُّه بقضاء الله وقدره، وهو الذي شاء ذلك منهم؛ بأنْ جعل لهم قدرةً وإرادةً بها يتمكَّنون من كلِّ ما يريدون من الأمر والنهي. ﴿والله بما تعلمون بصيرٌ﴾.

﴿٣﴾ فلمَّا ذكر خلق الإنسان المأمور المنهيِّ؛ ذكر خلق باقي المخلوقات، فقال: ﴿خَلَقَ السمٰواتِ والأرض﴾؛ أي: أجرامهما وجميع ما فيهما فأحسنَ خَلْقَهما ﴿بالحقِّ﴾؛ أي: بالحكمة والغاية المقصودة له تعالى، ﴿وصَوَّرَكم فأحسن صُوَرَكم﴾؛ كما قال تعالى: ﴿لقد خَلَقْنا الإنسان في أحسن تقويم﴾: فالإنسان أحسن المخلوقات صورةً، وأبهاها منظراً. ﴿وإليه المصيرُ﴾؛ أي: المرجع يوم القيامةِ، فيجازيكم على إيمانكم وكفركم، ويسألكم عن النِّعم والنعيم الذي أولاكم؛ هل قمتُم بشكره أم لم تقوموا به[2]؟

﴿٤﴾ ثم ذكر عموم علمه، فقال: ﴿يعلم ما في السمٰواتِ والأرض﴾؛ أي: من السرائر والظواهر والغيب والشهادة، ﴿ويعلمُ ما تُسِرُّون وما تُعْلِنونَ والله عليمٌ بذاتِ الصُّدور﴾؛ أي: بما فيها من الأسرار الطيِّبة والخبايا الخبيثة والنيَّات الصالحة والمقاصد الفاسدة؛ فإذا كان عليماً بذات الصُّدور؛ تعيَّن على العاقل البصير أن يحرص ويجتهد في حفظ باطِنِه من الأخلاق الرذيلة واتِّصافه بالأخلاق الجميلة.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾﴾.

﴿٥﴾ لما ذكر تعالى من أوصافه الكاملة العظيمة ما به يُعرف، ويُعبد، ويُبذل الجهدُ في مرضاته، وتُجتنبُ مساخِطُه؛ أخبر بما فعل بالأمم السابقين والقرون الماضين، الذين لم تَزَلْ أنباؤهم يتحدَّثُ بها المتأخرون، ويُخْبِرُ بها الصادقون، وأنَّهم حين جاءتهم رسلُهم[3] بالحقِّ؛ كذَّبوهم، وعاندوهم فأذاقهم الله وَبالَ أمرِهم

(١) في (ب): «فلا يخرج مخلوق عن ملكه». (٢) في (ب): «أم لم تقوموا بشكره».
(٣) في (ب): «الرّسل».

في الدُّنيا، وأخزاهم فيها. ﴿ولهم عذابٌ أليمٌ﴾: في الدار الآخرة.

﴿٦﴾ ولهٰذا ذكر السبب في هٰذه العقوبة، فقال: ﴿ذٰلك﴾: النكال والوبال الذي أحللناه بهم ﴿بأنَّه كانت تأتيهم رُسُلُهم بالبيناتِ﴾؛ أي: بالآيات الواضحات الدالَّة على الحقِّ والباطل، فاشمأزُّوا واستكبروا على رسلهم، وقالوا: ﴿أبشرٌ يهدونَنا﴾؛ أي: ليس لهم فضلٌ علينا؛ ولأيِّ شيءٍ خصَّهم الله دوننا؟! كما قال في الآية الأخرى: ﴿قالتْ لهم رسُلُهم إن نحنُ إلَّا بشرٌ مثلُكم ولكنَّ الله يمنُّ على مَن يشاءُ من عبادِهِ﴾: فهم حجروا فضل الله ومنَّته على أنبيائه أن يكونوا رسلاً للخلق، واستكبروا عن الانقياد لهم، فابْتُلوا بعبادة الأشجار والأحجار[1] ونحوها، ﴿فكفروا﴾ بالله، ﴿وتولَّوا﴾ عن طاعته، ﴿واستغنى الله﴾ عنهم؛ فلا يبالي بهم ولا يضرُّه ضلالهم شيئاً. ﴿والله غنيٌّ حميدٌ﴾؛ أي: هو الغنيُّ الذي له الغنى التامُّ المطلقُ من جميع الوجوه، الحميد في أقواله وأفعاله وأوصافه.

﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧﴾.

﴿٧﴾ يخبر تعالى عن عناد الكافرين وزعمهم الباطل وتكذيبهم بالبعث بغير علم ولا هدىً ولا كتابٍ منيرٍ، فأمر أشرف خلقِهِ أن يُقْسِمَ بربِّه على بعثهم وجزائهم بأعمالهم الخبيثة وتكذيبهم بالحقِّ. ﴿وذٰلك على الله يسيرٌ﴾: فإنَّه وإن كان عسيراً، بل متعذِّراً بالنسبة إلى الخلق؛ فإنَّ قُواهم كلهم لو اجتمعت على إحياء ميتٍ واحدٍ؛ ما قدروا على ذٰلك، وأمَّا الله تعالى، فإنَّه إذا أراد شيئاً؛ قال له[2]: كنْ فيكون؛ قال تعالى: ﴿ونُفِخَ في الصُّورِ فَصَعِقَ مَن في السمٰوات ومن في الأرض إلَّا مَن شاء الله ثم نُفِخَ فيه أخرى فإذا هم قيامٌ ينظُرونَ﴾.

﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٨﴾.

﴿٨﴾ لمَّا ذكر تعالى إنكارَ مَنْ أنكر البعث، وأنَّ ذٰلك منهم موجبٌ كفرَهم بالله وآياته؛ أمر بما يعصمُ من الهلكة والشقاء، وهو الإيمان به وبرسوله وبكتابه[3]، وسمَّاه الله نوراً؛ لأنَّ النور ضدُّ الظلمة؛ فما[4] في الكتاب الذي أنزله الله من

---

(١) في (ب): «الأحجار والأشجار». (٢) في (ب): «فإنه إذا أراد أمراً فإنما يقول له».
(٣) في (ب): «وهو الإيمان بالله ورسوله وكتابه».
(٤) في (ب): «وما».

الأحكام والشرائع والأخبار أنوارٌ يُهتدى بها في ظُلمات الجهل المدلهمَّة، ويمشى بها في حِنْدِسِ الليل البهيم، وما سوى الاهتداء بكتاب الله؛ فهي علومٌ ضررها أكثر من نفعها، وشرُّها أكثر من خيرها، بل لا خير فيها ولا نفع؛ إلَّا ما وافق ما جاءت به الرسل، والإيمانُ بالله ورسوله وكتابه يقتضي الجزم التامَّ واليقين الصادق بها والعمل بمقتضى ذاك التصديق من امتثال الأوامر واجتناب النواهي[١]. ﴿والله بما تعملونَ خبيرٌ﴾: فيجازيكم بأعمالكم الصالحة والسيِّئة.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ[٢] وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٩ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝١٠﴾.

﴿٩﴾ يعني: اذكُروا يومَ الجمع الذي يجمع الله به الأوَّلين والآخرين، ويقفُهم موقفاً هائلاً عظيماً، وينبِّئهم بما عملوا؛ فحينئذٍ يظهر الفرق والتغابن[٣] بين الخلائق، ويُرفع أقوامٌ إلى علِّيين في الغرف العاليات والمنازل المرتفعات المشتملة على جميع اللَّذَّات والشهوات، ويُخفض أقوامٌ إلى أسفل سافلين محلِّ الهمِّ والغمِّ[٤] والحزن والعذاب الشديد، وذٰلك نتيجة ما قدَّموه لأنفسهم وأسلفوه أيَّام حياتهم، ولهٰذا قال: ﴿ذٰلك يومُ التغابنِ﴾؛ أي: يظهر فيه التغابن والتفاوت بين الخلائق، ويغبن المؤمنون الفاسقين، ويعرِفُ المجرمون أنَّهم[٥] على غير شيء، وأنَّهم هم الخاسرون. فكأنَّه قيل: بأيِّ شيءٍ يحصلُ الفلاحُ والشقاء والنعيم والعذاب؟ فذكر [تعالى] أسباب ذٰلك بقوله: ﴿ومَن يؤمِن بالله﴾: إيماناً تامًّا شاملاً لجميع ما أمر الله بالإيمان به، ﴿ويعملْ صالحاً﴾: من الفرائض والنوافل؛ من أداء حقوق الله وحقوق عباده، ﴿يُدْخِلْه جناتٍ تجري من تحتها الأنهار﴾: فيها ما تشتهيه الأنفسُ، وتلذُّ الأعينُ، وتختارهُ الأرواح، وتحنُّ إليه القلوب، ويكون نهاية كلِّ مرغوب. ﴿خالدين فيها أبداً ذٰلك الفوزُ العظيمُ﴾.

﴿١٠﴾ ﴿والذين كفروا وكذَّبوا بآياتنا﴾؛ أي: كفروا بها من غير مستندٍ شرعيٍّ

---

(١) في (ب): «المناهي».

(٢) في (أ) إلى: ﴿المصير﴾، وفي (ب) ذكر الآيات إلى قوله: ﴿وبئس المصير﴾.

(٣) في (ب): «الفرق والتفاوت». (٤) في (ب): «الغم والهم».

(٥) في (ب): «أنه».

ولا عقليّ، بل جاءتهم الأدلّة والبيّنات، فكذّبوا بها وعاندوا ما دلّت عليه، ﴿أولئك أصحابُ النار خالدين فيها وبئسَ المصيرُ﴾: لأنَّها جمعت كلَّ بؤسٍ وشدةٍ وشقاءٍ وعذابٍ.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ[(١)] إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾.

﴿١١﴾ يقول تعالى: ﴿ما أصاب من مصيبةٍ إلَّا بإذنِ الله﴾: وهٰذا عامٌّ لجميع المصائب في النفس والمال والولد والأحباب ونحوهم؛ فجميع ما أصاب العباد بقضاء[(٢)] الله وقدره؛ قد سبق بذٰلك علمُ الله وجرى به قلمُه ونفذت به مشيئتُه واقتضتْه حكمتُه، ولٰكنَّ الشأن كل الشأن: هل يقومُ العبد بالوظيفة التي عليه في هٰذا المقام أم لا يقوم بها؟ فإنْ قام بها؛ فله الثواب الجزيل والأجر الجميل في الدُّنيا والآخرة؛ فإذا آمن أنها من عند الله، فرضي بذٰلك وسلَّم لأمره؛ هدى الله قلبه، فاطمأنَّ ولم ينزعجْ عند المصائب؛ كما يجري ممَّن لم يهدِ الله قلبه، بل يرزقه الله الثبات عند ورودِها[(٣)] والقيام بموجب الصبر، فيحصل له بذٰلك ثوابٌ عاجلٌ مع ما يدَّخر اللّهُ له يوم الجزاء من الأجر العظيم[(٤)]؛ كما قال تعالى: ﴿إنَّما يُوفَّى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾.

وعُلِمَ من ذٰلك[(٥)] أنَّ من لم يؤمنْ بالله عند ورود المصائب؛ بأن لم يلحظْ قضاء الله وقدره بل وقف مع مجرَّد الأسباب؛ أنَّه يُخذل ويَكِلُه الله إلى نفسه، وإذا وُكِلَ العبد إلى نفسه؛ فالنفس ليس عندها إلَّا الهلع والجزع[(٦)] الذي هو عقوبةٌ عاجلةٌ على العبد قبل عقوبة الآخرة على ما فرَّط في واجب الصبر، هٰذا ما يتعلَّق بقوله: ﴿ومَن يؤمِنْ بالله يَهْدِ قلبَه﴾ في مقام المصائب الخاصّ، وأمَّا ما يتعلَّق بها من حيث العموم اللَّفظيُّ؛ فإنَّ الله أخبر أنَّ كلَّ مَنْ آمنَ؛ أي: الإيمان المأمور به، وهو[(٧)] الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشرِّه،

(١) في (أ) إلى: ﴿فليتوكل المؤمنون﴾، وفي (ب): ذكر الآيات.
(٢) في (ب): «فبقضاء».
(٣) في (ب): «عندها».
(٤) في (ب): «من الثواب».
(٥) في (ب): «وعلم من هذا».
(٦) في (ب): «الجزع والهلع».
(٧) في (ب): «المأمور به من الإيمان».

وصدَّق إيمانه بما يقتضيه الإيمان من لوازمه[١] وواجباته؛ أنَّ هٰذا السبب الذي قام به العبدُ أكبرُ سببٍ لهداية الله له في أقواله وأفعاله وجميع أحواله[٢] وفي علمه وعمله، وهٰذا أفضلُ جزاءٍ يعطيه الله لأهل الإيمان؛ كما قال تعالى مخبراً أنَّه يثبِّت المؤمنين[٣] في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأصل الثبات ثباتُ القلب وصبرُه ويقينُه عند ورود كلِّ فتنة، فقال: ﴿يُثَبِّتُ الله الذين آمنوا بالقول الثابتِ في الحياة الدُّنيا وفي الآخرة﴾؛ فأهلُ الإيمان أهدى الناس قلوباً وأثبتُهم عند المزعجات والمقلقات، وذٰلك لما معهم من الإيمان.

﴿١٢﴾ وقوله: ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسولَ﴾؛ أي: في امتثال أمرهما واجتناب نهيهما؛ فإنَّ طاعة الله وطاعة رسولِهِ مدارُ السعادة وعنوانُ الفلاح، ﴿فإن تولَّيتم﴾؛ أي: عن طاعة الله وطاعة رسوله، ﴿فإنَّما على رسولنا البلاغُ المبينُ﴾؛ أي: يبلِّغكم ما أرسل به إليكم بلاغاً بيِّناً واضحاً، فتقوم عليكم به الحجَّة، وليس بيده من هدايتكم ولا من حسابكم شيءٌ[٤]، وإنَّما يحاسبكم على القيام بطاعة الله وطاعة رسوله أو عدم ذٰلك، عالمُ الغيب والشهادة.

﴿١٣﴾ ﴿الله﴾ الذي ﴿لا إلٰه إلَّا هو﴾؛ أي: هو المستحق للعبادة والألوهيَّة؛ فكل معبودٍ سواه فباطلٌ. ﴿وعلى الله فليتوكَّل المؤمنون﴾؛ أي: فليعتمدوا[٥] عليه في كلِّ أمرٍ نابهم وفيما يريدون القيام به؛ فإنَّه لا يتيسَّر أمرٌ من الأمور إلَّا بالله ولا سبيل إلى ذٰلك[٦] إلَّا بالاعتماد على الله، ولا يتمُّ الاعتماد على الله حتى يُحْسِنَ العبدُ ظنَّه بربِّه ويثق به في كفايته الأمر الذي يعتمد[٧] عليه به، وبحسب إيمان العبد يكون توكُّله قوةً وضعفاً[٨].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾.

---

(١) في (ب): «من القيام بلوازمه».
(٢) في (ب): «في أحواله وأقواله وأفعاله».
(٣) في (ب): «كما قال تعالى في الأخبار أن المؤمنين يثبتهم الله».
(٤) في (ب): «من شيء». (٥) في (ب): «يعتمدوا».
(٦) في (ب): «لذلك». (٧) في (ب): «اعتمد».
(٨) في (ب): «وبحسب إيمان العبد يكون توكُّله، فكلما قوي الإيمان قوي التوكّل».

﴿١٤ ـ ١٥﴾ هٰذا تحذيرٌ من الله للمؤمنين عن[١] الاغترار بالأزواج والأولاد؛ فإنَّ بعضهم عدوٌّ لكم، والعدوُّ هو الذي يريد لك الشرَّ، فوظيفتُك الحذرُ ممَّن هٰذه صفته[٢]، والنفس مجبولة على محبّة الأزواج والأولاد، فنصح تعالى عباده أن توجب لهم هٰذه المحبة الانقياد لمطالب الأزواج والأولاد، التي فيها محذورٌ شرعيٌّ[٣]، ورغَّبهم في امتثال أوامره وتقديم مرضاته بما عنده من الأجر العظيم، المشتمل على المطالب العالية والمحابِّ الغالية، وأن يؤثِروا الآخرة على الدُّنيا الفانية المنقضية. ولما كان النهيُ عن طاعة الأزواج والأولاد فيما هو ضررٌ على العبد والتحذير من ذٰلك قد يوهِمُ الغِلْظَةَ عليهم وعقابهم؛ أمَرَ تعالى بالحذر منهم والصفح عنهم والعفو؛ فإنَّ في ذٰلك من المصالح ما لا يمكن حصرُه، فقال: ﴿**وإن تعفوا وتَصْفَحوا وتَغْفِروا فإنَّ الله غفورٌ رحيمٌ**﴾؛ لأنَّ الجزاء من جنس العمل؛ فمن عفا؛ عفا الله عنه، ومن صَفَحَ؛ صفح [اللّٰه] عنه، ومن عامَلَ الله [تعالى] فيما يحبُّ، وعامل عباده بما[٤] يحبُّون وينفعهم؛ نال محبَّة الله ومحبَّة عباده واستوسق له أمره.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ[٥] وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾.

﴿١٦﴾ يأمر تعالى بتقواه التي هي امتثالُ أوامره واجتنابُ نواهيه، وقيَّد[٦] ذٰلك بالاستطاعة والقدرة. فهٰذه الآية تدلُّ على أنَّ كلَّ واجبٍ عجز عنه العبد يسقُطُ[٧] عنه، وأنَّه إذا قدر على بعض المأمور وعجز عن بعضه؛ فإنَّه يأتي بما يقدر عليه ويسقُطُ عنه ما يعجزُ عنه؛ كما قال النبيُّ ﷺ: «إذا أمرتُكم بأمرٍ؛ فأتوا منه ما استطعتُم»[٨]. ويدخل تحت هٰذه القاعدة الشرعيَّة من الفروع ما لا يدخُل تحت الحصر. وقوله: ﴿**واسمعوا**﴾؛ أي: اسمعوا ما يعِظُكم الله به وما يَشْرَعُه لكم من

---

(١) في (ب): «من».
(٢) في (ب): «ممّن هذا وصفه».
(٣) في (ب): «والأولاد، ولو كان فيها ما فيها من المحذور الشرعي».
(٤) في (ب): «كما يحبون».
(٥) في الأصل إلى آخرها.
(٦) في (ب): «ويقيّد».
(٧) في (ب): «أنه يسقط».
(٨) أخرجه البخاري (٧٢٧٧)، ومسلم (١٣٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الأحكام واعلموا ذٰلك وانقادوا له، ﴿وأطيعوا﴾: الله ورسولَه في جميع أموركم، ﴿وأنفِقوا﴾: من النفقات [الشرعية] الواجبة والمستحبَّة؛ يَكُنْ ذٰلك الفعل منكم خيراً لكم في الدُّنيا والآخرة؛ فإنَّ الخير كلَّه في امتثال أوامر الله [تعالى] وقَبول نصائحه والانقياد لشرعه، والشرَّ كلَّه في مخالفة ذٰلك، ولكن ثَمَّ آفةٌ تمنعُ كثيراً من الناس من النفقة المأمور بها، وهو الشحُّ المجبولة عليه أكثر النفوس؛ فإنَّها تشحُّ بالمال وتحبُّ وجوده وتكره خروجه من اليد غاية الكراهة، فمن وقاه اللَّهُ [تعالى] ﴿شُحَّ نفسِه﴾: بأن سمحت نفسه بالإنفاق[1] النافع لها، ﴿فأولٰئك هم المفلحونَ﴾: لأنَّهم أدركوا المطلوب ونجوا من المرهوب، بل لعلَّ ذٰلك شاملٌ لكلِّ ما أمر به العبدُ ونهي عنه؛ فإنَّه إن كانت نفسُه شحيحةً لا تنقاد لما أمرت به ولا تخرِج ما قِبَلَها؛ لم يفلح، بل خسر الدنيا والآخرة، وإن كانت نفسه نفساً سمحة مطمئنةً منشرحةً لشرع الله طالبةً لمرضاته[2]؛ فإنَّها ليس بينها وبين فعل ما كلِّفت به إلَّا العلم به ووصول معرفته إليها والبصيرة بأنَّه مُرضٍ لله [تعالى]، وبذٰلك تفلح وتنجح وتفوز كلَّ الفوز.

﴿١٧﴾ ثم رغَّب تعالى في النفقة، فقال: ﴿إن تقرِضوا الله قرضاً حسناً﴾: وهو كلُّ نفقة كانت من الحلال إذا قَصَدَ بها العبدُ وجه الله تعالى ووضعها موضعها، ﴿يضاعِفه لكم﴾: النفقة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعفٍ إلى أضعافٍ كثيرة، ﴿و﴾ مع المضاعفة أيضاً ﴿يَغفِرْ﴾ اللَّهُ ﴿لكم﴾: بسبب الإنفاق والصدقة ذنوبَكم؛ فإنَّ الذُّنوبَ يكفرها [اللَّهُ] بالصدقات والحسنات؛ ﴿إنَّ الحسنات يُذْهِبْنَ السيئات﴾. ﴿والله شكورٌ[3] حليمٌ﴾: لا يعاجِلُ من عصاه، بل يُمْهِلُه ولا يُهْمِلُه، ﴿ولو يؤاخِذُ اللهُ الناس بما كَسَبوا ما ترك على ظهرها من دابَّةٍ ولٰكن يؤخِّرُهم إلى أجلٍ مسمًّى﴾، والله[4] تعالى شكورٌ، يقبلُ من عباده اليسير من العمل، ويجازيهم عليه الكثير من الأجر، ويشكر تعالى لمن تحمَّل من أجله المشاقَّ والأثقال وأنواع التَّكاليف[5] الثقال، ومن ترك شيئاً لله؛ عوَّضه الله خيراً منه.

﴿١٨﴾ ﴿عالمُ الغيبِ والشهادةِ﴾؛ أي: ما غاب من[6] العباد من الجنود التي لا

---

(١) في (ب): «في الإنفاق».
(٢) في (ب): «المرضاة الله».
(٣) في (أ) صححت بخط مغاير إلى «شكور» وفي (ب): «غفور». والآية ﴿شكور﴾.
(٤) في (ب): «وهو تعالى».
(٥) في (ب): «المشاق وناء بالتكاليف الثقال».
(٦) في (ب): «عن».

يعلمها إلَّا هو وما يشاهدونه من المخلوقات. ﴿العزيز﴾: الذي لا يغالَب ولا يمانَع، الذي قهر جميع[1] الأشياء. ﴿الحكيم﴾: في خلقه وأمره، الذي يضع الأشياء مواضعها.

تم تفسير السورة. ولله الحمد[2].

❁ ❁ ❁

تفسير سورة الطلاق

وهي مدنية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ[3] وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا
تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ
حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ
فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ
ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾
وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ
لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾.

﴿١﴾ يقول تعالى مخاطباً لنبيِّه [محمد] ﷺ وللمؤمنين: ﴿يا أيُّها النبيُّ إذا طلَّقْتُم النساءَ﴾؛ أي: [إذا] أردتم طلاقهنَّ، ﴿فـ﴾: التمسوا لطلاقهنَّ الأمر المشروع، ولا تبادروا بالطَّلاق من حين يوجد سببه من غير مراعاةٍ لأمر الله، بل ﴿طلِّقوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾؛ أي: لأجل عدَّتهن؛ بأن يطلِّقَها زوجها وهي طاهرٌ في طهرٍ لم يجامِعْها فيه؛ فهٰذا الطلاق هو الذي تكون العدَّة فيه واضحةً بيِّنة؛ بخلاف ما لو طلَّقَها وهي حائضٌ؛ فإنَّها لا تحتسب تلك[4] الحيضة التي وقع فيها الطلاق، وتطول عليها العدَّة بسبب ذٰلك، وكذٰلك لو طلَّقَها في طهرٍ وطىء فيه؛ فإنَّه لا يؤمَن حملها، فلا

---

(١) في (ب): «كلّ».
(٢) في (ب): «تمّ تفسير التغابن».
(٣) في (أ) إلى قوله: ﴿قد جعل الله لكل شيء قدراً﴾، وفي (ب) ذكر الآيات.
(٤) في (ب): «بتلك».